وتهيئ للقارئ العربي أن يطلع على كتاب يريه بأجلى الصور حياة المغرب منذ أربعة قرون وما كانت تضطرم به من عناصر النور والظلام وما كانت تموج به من حق وظلام فهل من شبابنا من يقوم بهذا الواجب ؟

سعيد حجي

التاريخ

من أهمّ الأمور التي حدت الانسان الى النهوض ودفعته في طريق الحضارة وجعلته يأتي بالمعجزات من تسخير قوى الطبيعة واختراع آلات عجيبة سهلت عليه مصاعب الحياة وخففت من متاعبه الجسمانية ، وان كانت زادت في شقائه النفساني ، من أهم هذه الامور - إن لم اقل أهمها - التاريخ ، ولا أعني بالتاريخ سرد الاسماء والالقاب والارقام وذكر سنة ولادة الملك فلان ومماته ، أو وصف رايات الآخر وعد عبيده وخدامه ، بل بعث عصر مضى ، تمر مناظره امام القارئ بين سطور الكتاب فيرى ما كان عليه اجداده من العزة والرفعة والجاه والمجد ويبصر عظمة ملكهم ودقة تنظيمهم ويعجب بعدلهم وحسن تدبيرهم فيتيقن ان الخلف لابد أن يرث الكثير من خصال السلف فيمتلئ ثقة بنفسه ، والثقة بالنفس هي في نظري اكبر سبب وأعظم عامل على ترقي الامم ووصول الدول الى أوج الفخار ، وما أخر بعض الشعوب الا فقدانها من بين افراده ، وفي الحقيقة لا فرق بين الزنجي الغليظ الشفتين المؤتزر بأوراق الاشجار وبين المتمدن ذي القبعة المرتفعة والعصا المذهبة ، الا أن الاول فقد الثقة بنفسه فسكن الى الخمول ورضي بحالته ، أما الثاني فآمن بأنه لم يخلق ليأكل ويشرب وينام فجد واجتهد حتى بلغ العلياء ، فاذا قدر للزنجي أن يستعيد يوماً ما بعض ايمانه بنفسه فأرجوك ان تتيقن ان حاله ستصير غير التي هو عليها الآن وبالعكس اذا دار الدهر دورته فضعف من ثقة ذلك المتمدن فهو لابد واقع في هوة التقهقر والتأخر ، أما القول بان عقلية شعب أحط من عقلية الآخر أو أن الطقس البارد يدعو الى العمل ومن ثم الى التقدم بخلاف الطقس الحار المحبط للهمم فتلك ادعاآت مغرضة يقصد بها محاربة كل اتجاه نحو المجد .

ومنذ قديم الزمن عرف القادة فائدة الثقة بالنفس ، فعملوا على تقويتها بين اعضاء الشعب وقد بحثوا عن وسائل تبلغهم الى مأربهم فلم يجدوا وسيلة أفضل من التاريخ الذي يؤثر في العقول تأثير السحر ، فنمقوه وأسعفوه بخيالهم ومروا على العصور التي كانوا منحطين فيها من دون ان يذكروا عنها ولا كلمة واحدة بل ذهب بعضهم الى أبعد من ذلك فخلق ملوكاً وممالك وحروباً ووقائع لم توجد ولم تر ضوء الشمس وأطلق لخياله العنان فرفع من شأن هؤلاء الاشخاص وهاته الوقائع ما شاء له فكره وطاوعه بنانه كل ذلك ليدخل في روع افراد امته انهم افضل من غيرهم وأنهم اجدر البشر بالتقدم والتمدن والاستيلاء .

وهاؤم الامة اليونانية لا أظن أحداً يجهل قصصها التي تتعلق بنشأتها : يجد فيها القارئ اموراً لا يقبلها العقل من أنهم شعب الله وإن ملوكهم أبناء الآلهة وأن جبل أولمب في اثينا افضل بقعة على وجه البسيطة الى كثير من أمثال ذلك - ولقد يقف الانسان امام هاته الاشياء فاغر الفم تعجبا ، وقد يتساءل مستنكراً كيف سكت العلماء والمؤرخون اليونانيون على هاته الترهات ، أالتبست الحقيقة ؟ أم كانوا بلهاء الى درجة تصديق هذه الخرافات ؟ لا ، لم يكونوا كذلك ، وانما تعاموا عن هذه الامور

لعلمهم بما لها من فضل في استنهاض الهمم والتشجيع على المضي في طريق العلى .

والى الآن لازال الساسة يستعملون هاته الوسائل لاشعال نار الحماسة في النفوس ، ففكرة ان الجرمانيين هم صفوة البشر ليست مجهولة ، وقد اخبرت الصحف أخيراً ان الاتراك الكماليين ازمعوا على إعادة تاليف التاريخ من جديد ليزيلوا منه ما لا يوافقهم ويدخلوا فيه تحسينات جديدة !! وهذه حال اكثر الدول لم تكتف بتاريخها الحقيقي فهي تتسابق لتبوء قمة المجد التاريخي ولو ذهبت الحقيقة ضحية لهذا الغرض ، والحيل المستعملة لنشر المعلومات التاريخية ـ سواء منها الحقيقية أو المختلقة ـ لا تقع تحت حصر فالسينمات تعرض على الانظار وقائع تحيي الامل في النفوس والجارس يرسل على موجات الاثير محاضرات تاريخية يجتمع لسماعها الابن وأبوه فيفسر الثاني للاول ما قد يخفى عليه ، والمدارس والكليات والمعاهد والمجامع لا تدع فرصة تمر من دون ان تستغلها في احياء ذكرى قائد مخلص أو عالم جليل ، والصحف اليومية والاسبوعية منها والشهرية تخصص صفحات كثيرة من اعدادها للابحاث التاريخية وتعمل على ان تنشرها في اسلوب قصصي يستهوي القارئ ويغريه بالمطالعة .

أما نحن المغاربة فلا أظننا فرطنا في شيء تفريطنا في تاريخنا ، فالعالم منا الا ما ندر يساوي في معارفه التاريخية الامي الجاهل والشيوخ يستنكرون الاشتغال بالعلوم الدنيوية التي من جملتها التاريخ ، والطلبة صعب عليهم تفهم تاريخهم لما في كتبه من الغموض وعدم الترتيب ، ووجدوا بجانبهم تواريخ قراءتها ممتعة لذيذة فلا عجب ان هجروا تاريخهم وأخذوا يردون من مناهل غريبة عنهم فصاروا يعرفون من امور بلاد لا صلة بينها وبينهم اضعاف ما يعرفون عن وطنهم ، والادهى من هذا كله ان نرى بعض الاجانب يدرسون تاريخنا فيقلبون الحقائق ويتحاملون ويذمون ولا مجادل ولا مدافع ، كأن هذه الحملات لا تمسنا بسوء ولا تصيب من المغربي موضع العزة ، اننا بهجرنا لتاريخنا نقطع اكبر حبل يصلنا بماضينا المجيد ، والشعب يحي بماضيه اكثر مما يحي بحاضره ، فالماضي كالاصل من الشجرة اذا احتفظنا عليه أمكن ان تنبت أوراق جديدة وغصون مكان المتساقطة ، ان حاضرنا كهذه الاوراق وهاته الغصون المتساقطة فاذا تعهدنا الاصل الذي هو الماضي بأحيائه في النفوس والنصح بالتشبث به فالمستقبل سيكون زاهراً وسيقوم المغرب من كبوته ويستيقظ من سباته قوياً مؤملا الخير في شبابه ، أما اذا تهاون ـ لاقدر الله ـ اساتذتنا وادباؤنا في اقتلاع اليأس من النفوس واشعال ضوء الامل فيها ـ وذلك يكون بواسطة التاريخ ـ فلا تنتظر غير خمول على خمول وتأخر على تأخر .

لننظر في حالة الدول ولنقتد بهم في اهتمامهم بتاريخهم ! ان الفرد منهم من يوم يشم الهواء لأول مرة الى أن يلفظ آخر نفس من انفاسه يجد في كل دور من ادوار حياته مرشداً يدله على مفاخر قومه ، فهو حين يكون في المهد صبياً يسمع امه الحنون تترنم بأغنيات تاريخية تمجد فيها الابطال وتتمنى على الله ان يكون فلذة كبدها مثلهم ، واذا ترعرع ودخل المدرسة كان التاريخ في أول المواد التي سيدرسها ، فاذا شب وجد في الصحف تراجم شخصيات تاريخية تكون له المثل الاعلى في حياته يسعى للاقتداء بها ، وهكذا يسير ، يشجعه على العمل والاجتهاد ما يلقاه الذين تعبوا في سبيل بلادهم من التكريم والمحبة والخلود عند امهم .

تأمل هاته الحالة وقارن بينها وبين نشأة المغربي التي

لا أظنني في حاجة الى وصفها لك فأنت بها عليم خبير - تعثر على السبب الذي جعلنا نتأخر حين تقدّم الناس ونكتفي بالوقوف آخر الصف منتظرين نزول قوة من السماء تصعد بنا الى السماك من دون ان نتعب أو نخاطر، ان المغربي ليست له اليوم مطامح ولا ثقة بنفسه ، ولكن اذا توصل ادباؤنا وكتابنا وشعراؤنا الى إحياء عاطفة الطموح فيه فسيكون منه العجب العجاب ، اذ اعتقد أن الشعب المغربي من أرقى الشعوب واذكاها ولا يحتاج الا الى مدة قصيرة يغير فيها رأيه في نفسه ليسير بخطى واسعة نحو المرتبة الجديرة به - ولا سبيل للتأثير عليه الا بعرض مجده الاثيل أمامه وتذكيره بما كان له من الفخار في سالف الازمان ، فعسى أن ينتبه ادباؤنا الى هاته الناحية ويعطوا اهمية كبيرة لتاريخنا ، وهم ليسوا مطالبين بزيادة في التاريخ أو قلب للحقائق ، فالتاريخ المغربي - والحمد لله - مشرف غاية الشرف ولا تعوزه الا عقول ذكية وعواطف شاعرية وأقلام بليغة تدرك مفاخره وتمجد ابطاله وتقرب مكنونه الى الافهام - وقد توفرت هذه الشروط في بعض ادبائنا الكبار الذين يعقد عليهم المغرب آمالاً واسعة وينتظر منهم أعمالاً مجيدة فإلى هؤلاء بالخصوص والى الادباء عامة أوجه نداء حاراً أرجوهم - بما يكنون من المحبة لبلادهم - ان يطرقوا مواضيع تاريخية قومية مغربية وان يقصدوا في اسلوبهم البساطة والوضوح ليستفيد منهم الطلبة ، وليتيقنوا انهم يخدمون بذلك وطنهم خدمة كبيرة وسيرون - ان هم اقدموا - نتيجه كتاباتهم في أقرب مدة .

فإلى العمل والمجد للمغرب .

محمد ملين

حول نهضة المرأة

نزعة الى التطور

المرأة المغربية

عذبة تلك الاغاني التي سمعتها وأنا مار بإحدى أزقة فاس ، أغاني كانت تنبعث من أفواه فتيات صغار كن يرسلنها عفواً في غير مشقة ولا عناء منغمة سائغة قد زادها عذوبة ولذة نبرة صوتهن الطفلي ، ولست أعرف شيئاً أحسن وقعاً على السمع من لثغة الاطفال ولا أبعث للنشاط من الاستماع لحديثهم ، كن يرسلن هذه الاغاني بالفرنسية وهن راجعات من احدى المدارس التي أسستها الحكومة لتعليم البنات ، وقد دقت الثانية عشرة فكن يسرعن الى منازلهن ليتناولن الغذاء ولكن شهوتهن لم تصرفهن عن الاسترسال في الغناء فبعثت طرفي وقلبي إثرهن ولكني ما لبثت أن جعلت أمشي وراءهن حين أخذن يختفين عن بصري .

أراني اليوم عاجزاً كل العجز عن تصوير ما تركن في نفسي من أثر ، شعرت حين غبن عني بسرور لا يعدله سرور واغتباط ليس الى تكييفه من سبيل فها أنا أذكر الآن نظراتهن الغريرة وقد شخصن ببصرهن الي ينظرن الى شخص أوقفته ألحانهن اللذيذة فجعل يبتسم لهن مبتهجاً بابتهاجهن نشطاً بنشاطهن ، وها أنا أذكر ذلك الزي الظريف الذي اتخذنه خاصاً بالمدرسة : أحذية اروبية تحتوي على أرجلهن الصغار وذراريع تحيط بثيابهن ورؤسهن مكشوفة قد عافت كل ستر فأبانت ظفائرها أو القت شعورها التقية عن سجيتها .

لا زال هذا المنظر مرتسماً على صفحة ضميري ولا